

سورة القيامة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ

عِظَامَهُ (3)﴾

شرح الكلمات:

{ يحسب الإنسان أي الكافر الملحد.

{ أن لن نجمع عظامه } أي ألا نجمع عظامه لنحييه للبعث والجزاء.

المعنى الإجمالي :

أخبر سبحانه وتعالى أن بعض المعاندين يكذب بيوم القيامة، فقال: {يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ} بعد الموت، كما قال في الآية الأخرى: {قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} ؟ فاستبعد من جهله وعدوانه قدرة الله على خلق عظامه التي هي عماد البدن. أیظن الإنسان (الكافر) ألا بعث وألا نجمع عظامه؟! وهذا تقرير وتوبيخ. وهذه الظنون أو الأقوال كانت لكفار قريش.

ما هي الأسباب الكامنة وراء عناد الناس وعدم إيمانهم بالبعث؟

1- الاستبعاد: ولكونهم درجوا على ذلك مقلدين الآباء والأجداد، وكان مجرد طلب تغيير عقيدتهم عن هذا المألوف أمراً من الصعوبة بمكان؛ بل جعلوه -وهو الأمر المألوف الذي يقتضيه العقل السليم- أمراً مستبعداً غاية البعد، فهم لم يشاهدوا أن الأموات يحيون بعد دفنهم فيقومون من قبورهم ليخبروهم بالعالم الآخر، وهم.....

كذلك يشاهدون دائماً أن الميت بعد دفنه بأيام تأكله الديدان، ويستحيل إلى تراب وعظام نخرة، فكيف يتصور أن ترجع إليه الحياة من جديد؟!.

2- الكبر وهو آفة الجهال المعرضين عن الله، وقد قص الله تعالى قصة أهل الكبر منذ رسالة نوح إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقْتَ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْمُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾ [هود: 91]

3- ميلهم إلى الشهوات وانغماسهم في الملهيات التي ألفوها وأحبوها.. فآثروا إنكار الإيمان باليوم الآخر..

4- عامل اقتصادي لإنكارهم البعث والإيمان باليوم الآخر؛ حيث يتاجرون بالخرمات؛ وفي تقديرهم أن الإيمان باليوم الآخر والبعث سيحول بينهم وبين هذه الأمور الخمرية.

5- عامل سياسي: وهو حب الزعامة والحفاظ عليها والتسلط والإذلال للبشر؛ لتبقى الزعامة في أيديهم؛ ولتبقى مراكزهم في المجتمع خالصة لهم؛ لأنهم يعرفون أن الإيمان مطلقاً وخاصة البعث سيجعلهم سواسية مع الناس، وسيحرمهم من نصب أنفسهم كزعماء للناس.

وينكر مشركي العرب ومن وافقهم البعث والمعاد، ويؤيد هذا بعض الفلاسفة فينكرون البقاء والمعاد، ويعتبرون إحياء الخلق مرة أخرى من قبيل الأسطورة والخرافة، كما زعمت طائفة أخرى أن البعث يكون للأرواح دون الأجساد. قال سبحانه وتعالى: وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون (24) (الجاثية).

وجوه إبطال الشبهة:

(1) البعث حقيقة مؤكدة ومحددة بأجل محدود.
(2) الذي قدر على بدء الحياة قادر على إعادة الحياة.
(3) القادر على خلق ما هو عظيم قادر على خلق ما هو دونه.

(4) قدرته - سبحانه وتعالى - على تحويل الخلق من حال إلى حال دليل على قدرته على البعث والإحياء بعد الإماتة.

(5) قصة من أنكر البعث خير دليل على قدرة الله تعالى على البعث والنشور يوم القيامة.

(6) إحياء بعض الأموات في هذه الحياة دليل واقعي على قدرته - عز وجل - على البعث البعث.

(7) ضرب المثل بإحياء الأرض بالماء وكذلك دورة النبات؛ للاستدلال على صحة البعث.

(8) حكمة الله وعدله يقتضيان بعث العباد للجزاء والحساب.

(9) اتفاق جميع الأنبياء على الإخبار بالمعاد.

(10) ضلال منكري البعث؛ حيث لا دليل لهم ولا برهان.

قد أقامت دليلين ساطعين على إمكانية البعث

وإعادة الناس إلى الحياة مرة أخرى .

الدليل الأول: عن طريق تطور خلق الإنسان من حال إلى حال .
الدليل الثاني: عن طريق مشاهدة الأرض وتنقلها من هيئة إلى هيئة أخرى . . فكان الله تعالى يقول: (إن القادر على إيجادكم في أطوار متعددة، والقادر على تحويل الأرض من حال إلى حال قادر على إعادتكم إلى الحياة بعد موتكم) .

ثمرات الإيمان باليوم الآخر :

1- الإيمان باليوم الآخر يُحيي في نفوس المؤمنين معاني الصبر والرضا والاحتساب.
2- الإيمان باليوم الآخر يُحيي في النفوس معاني العفو عن الظالم، وقبول الأعداء.
3- الإيمان باليوم الآخر يجعل القلب لا يتعلق بالدنيا.
4- ذكر اليوم الآخر يُهدد الظلمة ليكفوا ويرتدعوا، ويعزي المظلومين ليسكنوا.
5- ذكر اليوم الآخر يجعل أهل الغفلة ينتبهون من غفلتهم.

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ

عَظَامَهُ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (265)



سورة القيامة - الآية الثالثة

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عَظَامَهُ

أَيُظَنُّ هَذَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ
أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَى جَمْعِ عَظَامِهِ
بَعْدَ تَفَرُّقِهَا؟

فَوَائِدُ مِنْ تَفْسِيرِ السُّورَةِ الْقِيَامَةِ الْآيَةِ 3

تهدى ولا تباع

ولا تسوننا من صالح دعائكم

أَعْدَهَا (عزمي إبراهيم عزيز)

7- عندما يقفون للحساب لرأيت هولاً كبيراً، إذ يسألهم ربهم: أليس هذا الذي تشاهدونه حقاً؟ وهنا لم يملكوا إلا أن يجيبوا بقولهم: بلى يا ربنا هذا هو الحق بعينه، وهنا يحكم الله تعالى فيهم بحكمه العادل فيقول: فانغمسوا في العذاب بسبب إنكاركم هذا اليوم العصيب وهو يوم القيامة .

8- إن الإيمان بالبعث والجزاء أصل صلاح القلب، وأصل الرغبة في الخير، والرغبة من الشر اللذين هما أساس الخيرات.

9- الإيمان باليوم الآخر كله خير؛ وعاقبته في العاجل والآجل خير كلها؛ وكيف لا يكون ذلك وهو من أوامر الله - عز وجل - للعبد في هذه الحياة

10- إِنَّ تَحْتِلَ استحالة المعاد ، الناشئ من توهم أن إحياء الموتى خارج عن إطار القدرة ، جهل بالله سبحانه ، وجهل بصفاته.

11- إثبات قدرة الله على بعث الخلائق يوم القيامة .

12- يدعي المجادلون أن الأجسام بعد موتها تتحلل إلى مكوناتها الأساسية التي قد تغيب في باطن الأرض أو تدخل في تركيب نبات يعود ليأكله حيوان.. إلى آخر تلك السلسلة الجدلية التي قد يفترضها المعاندون المكذبون فيستحيل جمع ذلك المتناثر من عهد آدم إلى قيام الساعة في زعمهم أي إذا تحللت أجسامنا وتاهت دقائقها في غابات الأرض، فكيف تجمع لنبعث من جديد؟ والله تعالى يرد عليهم بدليل علمه اخطئ سبحانه فيقول تعالى: **(قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) (ق/4)**

والحقيقة أن هذه الآية فيها طلاقة قدرة الله المعجزة التي تحفظ على الإنسان بعد موته مواضع غيابات دقائق جسمه مهما طال العهد ومهما تعقد الأمر. ومن رحمة الله بنا أنه لم يفصل لنا أكثر من ذلك لأن عقل الإنسان قد يقضى الساعات الطوال وهو يتأمل هذه الآية الكريمة التي لا تنقضي عجائبها، فكيف لو زاد التفصيل بما لا تحتمله عقولنا؟

والله اعلم .. وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

2- بيان إفضال الله على العبد في خلقه وتركيب أعضائه.

3- يندم العصاة ويتحسرون على تفريطهم في الطاعة، ولشدة حسرتهم يعضون على أيديهم يقول عز وجل: **وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً [الفرقان:27].**

4- الإيمان بيوم القيامة وما فيه من بعث وحساب وثواب وعقاب ركن من أركان الدين، وجزء من العقيدة السليمة، ولا يكون الإنسان صحيح الإسلام، إلا إذا آمن إيماناً راسخاً بأن الحياة الدنيا بما فيها ومن فيها ستنتهي في الوقت الذي يريده الله تعالى وستعقبها حياة أخرى هي الحياة الباقية الدائمة، كما في قوله: وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون .

5- لا يجوز لمسلم أن يشكك في يوم القيامة، وكل من يصاب بهذا الشطط في التفكير فهو إنسان ضعيف الإيمان، وقد يخرج به هذا التفكير الشيطاني عن دائرة الإيمان إذا ما أنكر أن هناك يوماً آخر فيه بعث وحساب وثواب وعقاب . فالقرآن الكريم قد أخبرنا في آيات كثيرة أن يوم القيامة آتٍ لا شك فيه، ولكن في وقت لا يعلمه إلا الله تعالى وحده .

6- أُنذِر الله المنكرين ليوم القيامة بسوء المصير وبأنهم سيخسرون وسيندمون في يوم لا ينفع فيه الندم بسبب هذا الإنكار ومن الآيات التي وردت في هذا المعنى قوله تعالى: **ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون .** قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون .